

OPEN ACCESS

## مراجعة كتاب: «الإيماءة والإشارة: التواصل غير اللفظي في الثقافة القطرية»

الكاتب: منتصر فايز فارس الحمد

امتنان الصمادي

أستاذ مشارك، الأدب العربي الحديث، جامعة قطر

Book review: "Non-verbal Communication in the Qatari Culture" by Muntasir Faris Fayez Montasir

Imtenan Smadi

Associate Professor of Arabic Language

imtenan.smadi@qu.edu.qa

صدر مؤخرًا عن دار نشر جامعة قطر 2019، كتاب «الإيماءة والإشارة: التواصل غير اللفظي في الثقافة القطرية» للدكتور منتصر فايز فارس الحمد، الأستاذ ببرنامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في جامعة قطر، يأتي هذا العمل الذي يقع في 206 صفحات، واحدًا من المراجع المهمة في توثيق سمات ثقافية خاصة، تميزت بها الثقافة القطرية، رغم اشتراكها - في بعضها - مع ثقافات وعادات لشعوب كثيرة عامة، ومنطقة الخليج العربي خاصة، بغض النظر عن القرب أو البعد الجغرافي أو الزمني. وفيه عرض بالتالي للتراث الشعبي القطري غير المادي؛ بما يتوافق وميثاق اليونسكو لعام 2003، تحت عنوان (UNESCO's Convention for the Safeguarding of the Intangible Cultural Heritage) «معاهدة صون التراث الثقافي غير المادي» الذي صادقت عليه قطر عام 2008.

ويمكننا القول: إن هذا الكتاب يعد من أكبر المدونات في مجال الإيماءات والإشارات؛ مخصص لثقافة جغرافية بعينها، وفيه ما يقارب 400 مدخل لهذه الإيماءات والإشارات التي تنفرد بها الثقافة القطرية، أو تشترك فيها مع غيرها من الثقافات، بوصف الإشارة لغة الجسد العالمية التي تعرف في بقاع كثيرة.

للاقتباس: الصمادي، امتنان. «مراجعة كتاب: "الإيماءة والإشارة: التواصل غير اللفظي في الثقافة القطرية"»، مجلة أنساق، المجلد

3، العدد 2، 2019

<https://doi.org/10.29117/Ansaq.2019.0104>

© 2020، الصمادي، الجهة المرخص لها: دار نشر جامعة قطر. تم نشر هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0). تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

سعى المؤلف لتحقيق جملة أهداف منها أن يكون الكتاب مرجعاً للباحثين في علوم اللغة والسيميائيات والتواصل، ويقدم مادة تغني عملهم، فيأخذونها بالتعليق والإضافة والنقد؛ وربما الرفض والتفنيد.

ومن شأن هذه المدونة التي انتظمت في ثلاثة فصول ومقدمة، وتتوزع على أقسامه الثلاثة: سيمياء اللباس، الهيئات، الإيحاءات والإشارات، أن تشكل مرجعاً مهماً - قابلاً للزيادة - لعدد كبير من الإيحاءات والإشارات التواصلية غير اللفظية في الثقافة القطرية المعاصرة. كما حرص على أن تشفع بالعبارات اللازمة مع بعض هذه الإشارات، وهو عمل، وجهد، لم يسبق أن وضع لثقافة واحدة - في حدود ما نعلم - في مباحث السيميائيات، ولغة التواصل غير اللفظي في الثقافة القطرية، بل يمكننا القول إنه أول مدونة كاملة تتناول كل النواحي السيميائية في أي ثقافة في العالم.

وتكمن أهمية الكتاب في أنه يشكل مرجعاً يفيد منه الباحثون بداية، والوافدون إلى قطر للعمل فيها أو زيارتها، وممثلو الهيئات الدبلوماسية، والمخرجون؛ سواء أكانوا للسينما أم للدراما التلفزيونية، والمصممون للإعلانات المرئية والمطبوعة، وكذا الأدباء من روائيين وقصصيين وشعراء؛ إذ لا بد لنجاح ما سبق من فهم السياقات الثقافية، والتثبت منها كي لا تخرج الصورة عن إطارها الثقافي.

يمتاز الكتاب إلى جانب قيمته العلمية بتقديمه مدونة شاملة لثقافة واحدة، وهو متفرد في هذا الباب في العالم العربي والدراسات المرتبطة بالسيميائيات والتواصل غير اللفظي، بوصفه فرعاً لسانياً. علاوة على ندرة الأعمال الشاملة في هذا الباب على المستوى العالمي. في جهد سعى فيه إلى جمع الإيحاءات المعبرة تواصلياً في الثقافة القطرية، كما يتناول سيمياء لباس الرجل وحالاته وأقسامه، وما طرأ عليه من كماليات، وكذلك لباس المرأة القطرية (البنث والمتزوجة) والفوارق بينهما. ولعل هذا القسم لم يكن بأهمية الفصل الثاني الذي خصصه الباحث للاستقبال، وما يتضمنه من حديث عن الحيز الشخصي للفرد، وما يترتب على المسافة الحميمة للأفراد وطرق المصافحة، وهيئة الجلوس لكل من الرجل والمرأة، والمشروبات وطرق تناولها، وكل ما يستدعيه ذلك من حركات اليدين والوجه. واختص الفصل الثالث بالإيحاءات والإشارات، كأوامر الحركة ورفع الذراع وحركة الأصابع وإيحاءة الرأس ودلالة كل حركة، وقد أسهب في هذا الفصل في بيان دلالات الإيحاءات المتعلقة بالمشاعر والأحاسيس والحياء وطرق الاستجابات في مختلف الظروف.

وتجدر الإشارة إلى أن الباحث قدّم كتابه في صيغة توافق القارئ العام، فلم يصغ بتعابير علمية أو لغوية عسوية، أو مغلقة على سلسلة الباحثين فحسب، بل جاء ليدفع عن القارئ الملل والسأم، متخذاً من الصورة واللغة البسيطة سبيلاً لوصوله إلى كل قارئ مهتم بثقافة قطر.

ولا بد من الإشارة إلى أن التواصل غير اللفظي الذي يتناوله الكتاب مقابل لغة الجسد، هو في مجمله عبارة عن إيحاءات وحركات مكتسبة، وليست ذات انعكاسات جسدية عضلية بتأثيرات نفسية؛ أي أن أية حركة في التواصل غير اللفظي يمكن لكل إنسان يفعلها أن يفسرها ولها معنى مباشر مفهوم، دون تحليل كبير، أو توقع للمعاني من الشخص المقابل، بينما قد تنطلق حركة لا إرادية لشخص ما، تحتمل تفسيرات نفسية تبعاً للسياق والحالة وغيرهما، ولكنها قد لا تعني أية رسالة تواصلية للمقابل.

ولضمان حيوية المادة العلمية استعان الباحث في عرض الحركات والإيحاءات بممثلين متمرسين، وافقوا على تصوير أداء الحركات بدقة؛ وهذا بدوره شكل بعداً حيوياً في تجسيد المادة النظرية ضمن صفحات الكتاب.

وختاماً، يقدم هذا الكتاب مادة علمية جيدة، في سياق تعريفي لظواهر لغة الجسد التي يارسها القطريون بوعي وقصدية، تمنح التعبير قوة وعمقاً يضافان للغة الكلام، فالإشارة لغة تعزز دور اللسان، وتمنحه بلاغة ووقاراً.